صدر العدد بالتعاون مع

كلية اصول العلم الجامعة

العراق - بغداد

CJSP
ISSN-2536-0027

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز كامبريدج
للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

العدد - ٣٩

تشرين الثاني - ٢٠٢٤

CAMBRIDGE
RESEARCH AND CONFERENCES CENTER

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

تطور فن عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين (فن النحت انموذجاً)

الباحث د.هبه كامل إبراهيم
جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ
hebak.alshamkhi@uokufa.edu.iq

مستخلص
تناول البحث الفن في حضارة وادي الرافدين، وركز على النحت في عصور ما قبل التاريخ كأحد اهم اصناف الفنون التي مارسها الانسان القديم ، كما سلط البحث الضوء على اسباب ظهور الفنون كالرسم والنحت والنقش ، وحاول الباحث ايجاد تفسيرات لبعض المظاهر الغير مألوفة التي اتسمت بها بعض القطع الفنية العائدة الى تلك العصور ، ثم وضح البحث مراحل تطور النحت عبر ادوار عصور ما قبل التاريخ في العراق القديم .

Abstract
The research dealt with art in the civilization of Mesopotamian, and focused on sculpture in prehistoric times as one of the most important types of arts practiced by ancient man. The research also shed light on the reasons for the emergence of arts such as painting, sculpture and engraving. Dating back to those ages, then the research explained the stages of the development of sculpture through the roies of prehistoric times in ancient Iraq.

المقدمة
أخذت الفنون حيزاً كبيراً من حياة الانسان منذ أقدم الحضارات ومنها حضارة وادي الرافدين، ولم يكن الفن آنذاك وسيله للإبداع وإظهار المواهب كما هو الآن بل كانت له غايات مختلفة كلياً تتعلق بسلامة الانسان ورزقه وأمانه وهذا كلما نشده من الحياة حينها.
عبّر الانسان القديم عن معتقداته الدينية بنحت التماثيل الصغيرة التي تقربه من الآلهة ، ليأمن غضب الطبيعة ولزيادة الخصب في ارضه وبالتالي وفرة محصوله ، وعبر عن استحضاره للقوة التي تمكنه من صيد الحيوانات المفترسة بطقوس كانت خاصة بالصيد ، تمثلت برسم الحيوانات المفترسة على جدران الكهوف او تجسيمها في منحوتات ليبدي سطوته وسيطرته عليها .
أي ان الفن الذي لم يطلق عليه الانسان القديم هذه التسميه كانت اغراضه تختلف كلياً عن اغراض في الوقت الحاضر إذ كانت اغراضه دينيه ونفسيه بحته ، لان بدائية الحياة آنذاك وقسوتها لم تكن تسمح للفرد بممارسة اعمالاً ترفيهية او اعمالاً تحاكي ذائقته الجمالية ، كما ان ادواته وألوانه جميعها اتسمت بالبساطة وهي مستمده من الطبيعة ، ويبقى العامل المشترك بين الفن القديم والحديث ان الاثنين كانا وسيله للتعبير عن دواخل الانسان وهمومه ، لذلك استمر الفن ووجد حينما وجدت الحياة وتطور بتطورها وباستقرار الانسان واكتسابه للأمان ، فبدأ في نهاية العصور التاريخية يتخذ أشكالاً جمالية وهذا ما ركز عليه البحث .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

مشكلة البحث

رصد البحث بدايات ظهور الفنون كالرسم والنحت والنقش على جدران الكهوف ، كما وضح مصادر الخامات والالوان المستخدمه في ممارس تلك الفنون قديماً ، وشرح سمات التقدم في القطع الفنيه في كل مرحله من مراحل تطور الانسان القديم .

اهداف البحث

ليطلع القاريء الكريم على جوانب ثقافيه من حياة سكان بلاد وادي الرافدين ، فبالرغم من بدائية الحياة الا انه خلق من الطبيعة ادواته التي يبدع فيها ويعبر عن مكنوناته الفنيه وتطلعاته الثقافيه.

حدود البحث

الحدود الزمانية وهي عصور ما قبل التاريخ ، والحدود المكانية بلاد وادي الرافدين ، والبشرية وهم سكان بلاد وادي الرافدين .

منهجية البحث

قُسم هذا البحث الى مقدمة وثلاث مباحث : درس المبحث الأول الفن ودوافع ظهوره في عصور ماقبل التاريخ ، وشمل على بعض تعريفات للفن كما سلط الضوء على الدوافع التي حدت بالانسان القديم ان يمارس الفنون مثل الرسم والنحت والزخرفة .

اما المبحث الثاني فكان بعنوان : المواد والالوان المستخدمة في فن عصور ماقبل التاريخ ، وفي هذا المبحث يجد القاريء اجابات على جميع التساؤلات حول مصادر الخامات والالوان التي استخدمها الانسان القديم في ممارسة فنونه .

والمبحث الثالث بعنوان : تطور النحت في ادوار حضارة وادي الرافدين : وفيه وضح الباحث التطور الذي طرأ على فن النحت في كل دور من ادوار وادي الرافدين وهي خمسه تمثلت بدور حسونه ، وسامراء ، وحلف ، والعبيد ، والوركاء . ثم ختم البحث ببعض الاستنتاجات وقائمة بالمصادر .

المبحث الأول: الفن ودوافع ظهوره في عصور ما قبل التاريخ

تركز وجود السكان في القسم الشمالي من العراق (بلاد وادي الرافدين) لأسباب تعلقت بالمناخ والأرض في العصر الحجري الحديث الذي بدأ بحدود السبعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وأستمر لغاية ظهور الكتابة والتحول الى العصور التاريخية بحدود الثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ولغاية الخمسة الاف سنة قبل الميلاد ، وسمي بالحجري لان الانسان لم يستخدم سوى الحجارة فيه سواءً في المسكن أو ادوات الصيد او الأواني (١) .

ان المتتبع للفنون البدائية للأنسان القديم كالرسم والنحت يلاحظ الصفاء والنقاء في نظرته للحياة ، وهي الروح التي حملها انسان كان متحداً مع الطبيعة ومتفاعلاً معها ، ومستلهماً جميع اصناف حياته من الملاحظه لما حولة دون شوائب ، " إذ عبروا عن وجودهم واحاسيسهم بما تركوه لنا من نقوش ساعدتنا في الغوص الى عمق الانسان القديم وبما كان يتكبده من صراعه من اجل البقاء ومحاربة القوى العنيدة التي خضع لها وشعر امامها بضعف وقلة حيلة " (٢) .

وكون الفن هو ترجمة حية للواقع الذي يعيشه الانسان بتفاصيله المختلفه او هو محاولة للتعبير عن مواقف الانسان من حيث مشاعرة وافكاره (٣) ، لذلك نجد ان ايمان الانسان القديم ببعض المعتقدات الدينية جعله يتخذ لها رموزاً بالنحت لتحميه من غضب الطبيعة او لتدر عليه الرزق ، فكانت الرموز الدينية كالزقورات والمعابد وما فيها من نحت ورسوم ارتقت الى مستوى الفن ، او ما عثر عليه من تماثيل في المقابر وجميعها لها دلالات دينية تتعلق بفكرة الحياة ما بعد الموت هي ابرز معالم حضارة وادي الرافدين (٤) .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

لعب الفن دوراً مهماً في نقل صورة حقيقية عن طريقة تفكير الانسان القديم ومعتقداته وتكوينه النفسي والثقافي في عصور سبقت الكتابة ، فجعل تاريخ الحضارة كأنما مرئياً ، ومنذ ان ادرك الانسان وعيه الثقافي والنفسي فسر ذلك الوعي بلغة النظر فكان الرسم والنحت والحفر واللون ، فترجم الحدث او الظاهرة التي تعايش معها او الفكرة التي آمن بها بأثر فني (٥) .

بدأ فن النحت في اول اشكاله بصناعة تماثيل صغيرة من الصلصال والخشب والعظم والعاج ، وكانت تمثيل لشكل الانسان والحيوان على حدٍّ سواء ، دون مراعاة التفاصيل ودون بلوغ العمل حد الاتقان ، شُكلت بشكل بدائي وعشوائي دون ابراز ملامح للرأس او الوجه ، بينما يلتصق الساقان ببعضهما او يفصل بينهما حز ضيق بغرض تماسك التمثال ، كما ظهر فن الزخرفة والرسم مصحوباً لصناعة التماثيل ، وأول تطبيق لها على اسطح الاواني الفخاريه إذ خطت اشكال هندسية او لحيوانات او صور القوارب وقد رسمت ايضاً بشكل مبسط ، إذ كانت لا تتجاوز الخطوط الرفيعة ،أي ان الرسمه كانت اشبه بتخطيط منه الى شكل فني متكامل (٦).

توصل المنقبون والاثاريون الى جوانب متعددة اجتماعية وثقافية في حضارة وادي الرافدين من خلال نتاجات افرادها الفنية ، فمثلاً كشفت رسوم انسان العصور الحجرية القديمه عن مجتمع اعتمد كلياً على الصيد ، بينما انتقل الى الزراعة في العصر الحجري الحديث ، ولزيادة ووفرة المحصول التجأ الى عبادة الالهة الام وهي عبارة عن دمى مضخمة الاعضاء الانثوية (٧) ، اعتقد انها احدى القوى الخلاقة بالطبيعة المسئولة عن الخصب والامطار اتي يحتاجونها لوفرة الانتاج ، فقدس انسان العصر الحجري القوى المنتجة وعبر عنها في شكل تمثال امرأة في حالة الحمل (٨).

عبّر الانسان في العصر الحجري القديم والذي اعتمد على الصيد عن ما اعتراه من احاسيس الخوف والقدسية والحب والتبجيل بالنحت ، لذلك وصلتنا قطع غريبة في تركيبها فحملت بعضها جسم انسان ورأس اسد مخيف اشبه والذي صنع من الحجر ، وهذا القطعة وغيرها من شبيهاتها في جوهرها مثلت تجسيد لمخلوقات كانت تحيط به ، ربما كان هذا التمثال كفيل بابعاد خطر بعض الحيوانات المفترسه او هكذا اعتقد ، وأحياناً نحت اشكال لحيوانات تحمل رؤوس افاعي واجسام حيوانات لها ارجل مصوره بعض الاساطير وكان مصدرها المعبد وجميعها منحوتات من الحجر(٩) ، لم تقتصر الوسائل على النحت والرسم في مواجهة ظروف الحياة القاسية وطبيعتها المخيفه وانما تعداه الى ممارسة طقوس السحر والشعوذة، تمثلت ممارساته بتقليد اصوات واشكال وحركات بعض الحيوانات ضناً انها الوسيلة المناسبة لجذبها وصيدها (١٠) وربما هذا ما يفسر لنا اكتشاف بعض المنحوتات التي تحمل رأس انسان وجسد حيوان او العكس، او العثور على تماثيل نحتت بلا رأس لحيوانات ، وأخرى احصيت فيها عدد كبير من ضربات السهام وكانت تماثيل لأسود نحتت خصيصاً لرميها بالسهام ، كان هذا الطقس يعطي الانسان القديم قوة في مواجهة الحيوان الحقيقي وسهولة صيده ، فلم يركز النحت في أول اشكاله على الجانب الفني بقدر الجانب المعنوي ، لذلك وصلتنا منحوتات بسيطه في هيأتها واحيانا من غير رؤوس وآذان واعين ، بل اكتفى النحات بتشكيل الجسد لتوجيه السهام له (١١).

كما استخدم الرسم كوسيلة اخرى الى جانب النحت لترجمة معتقداته ، فوصلتنا على سبيل المثال رسوم صورت رقص القبائل قبل الصيد ، وهو طقس اتبعه الانسان القديم كان يزوده بالقوة ، فضلاً عن رسوم لحيوانات على جدران الكهوف اعطته الشعور بالامان والانتصار عليها ، وعرفت تلك الرسوم بالاشكال الظلية لليد بقرب الرسوم الفعليه ، أي انها نتجت عن انطباع اليد اثناء الرسم ، فنتج فن تمثل بغمس اليد في

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

مادة ملونه ثم طباعتها على الجدران ، ويذهب بعذ العلماء الى احتمالية ان كثرة طباعة الايادي على الجدران ربما رمزت الى ملكية المكان ، او الى القوة المتمثله بالكثرة (١٢) .

يبدو مما سبق ان الفن كالرسم والنحت لدى الانسان القديم بُنيّ على الملاحظة بالدرجة الاولى ، أي ملاحظة ماحولة ، لذلك كانت الطبيعة وما احتوته ، مادة الفنان القديم الاولى ولكن لكي يعطي لتلك المنحوتات التي مثلت الاله أهمية وقيمة غير من اشكالها وابرز وضخم بعض اجزاء منها خاصة تلك المسئولة عن الخصب والحياة ، او ربما يعود سبب ذلك الى بدائية المواد المستخدمة في النحت مما جعل النحات غير دقيق في ابراز الملامح او الخطوط الرفيعة للقطعة الفنية المنحوته .

المبحث الثاني: المواد والالوان المستخدمة في فن عصور ماقبل التاريخ

كان الطين هو المادة الاساسية للنحت في اول ظهوره ، ومرت عملية النحت بعدة مراحل منها الدلك والطلاء والتلوين ، والدلك هو لغرض تكوير شكله وجعل سطح القطعة لماعاً وتمت تلك العملية بقطعة من الجلد او كتله من الحجاره الناعمة بعد جفاف الطين قبل التسخين او بعده ، كما اخفيت الحفر والانحناءات بآله حادة ، والطين المفخور او (التراكوتا) كان احد اقدم الخامات المستخدمه في النحت ، وكان يفخر بالأفران الخزفية بدرجات حرارة عالية ، بعد تشكيله بالهيئه المطلوبة و من سمات هذه الطريقه، سهولة التشكيل ، ووفوة تحملها اذ لاتتعرض للتلف او التآكل ، لكنها قد تتعرض للكسر في حالة تصادمها مع جسم اخر (١٣).

أما الطلاء فيحّضر من الطين المصفى مضافاً اليه القليل من الماء لتحويله الى معجون مخفف ثم يطلى به سطح التمثال وعندما تمتليء المسامات والشقوق يتحول الى الملمس الناعم ، صُنع الطلاء غالبا من نفس طينه القطعة المنحوتة وأحيانا اخرى من طينة مختلفة ويوضع على التمثال قبل ادخاله في كورة النار ليكتسب درجه عاليه من الثبات ، والعكس حينما يضاف الطلاء الى القطعة بعد التسخين فأنه يزول عند تعرضه للماء (١٤) .

كانت الحجارة احدى الخامات التي استخدمها الفنان القديم ، على الرغم من انها تميزت بصعوبة وبطيء تشكيلها الا انها بالمقابل اكثر قوة ومتانة من الطين المفخور ، كما انها اكثر لمعاناً من النحاس والبرونز ، لذلك عمرت واستمرت الكثير من التماثيل التي نحتت بالحجاره لغاية يومنا هذا (١٥) .

الخشب هو الآخر من الخامات التي استخدمها الانسان القديم في النحت ، وبالرغم من قصر عمره لتأثره بعوامل الطبيعة مثل الرطوبة والحرارة وحشرة السوس ، الا انه تميز بوفرته اولاً وبسهولة استخدامه فلا يحتاج الى اضافات او افران لتشكيله (١٦) .

أُستخدم النحاس في نهاية العصر الحجري الحديث ، أقتصرت بداية استخدامه على صناعة مجموعات من الخرز الصغيرة المستخدمه في أغراض الزينة ، و مثاقب طويلة دقيقة استخدمت في ثقب حبات الخرز الحجرية ، ودبابيس طويلة استخدمت في خياطة الألبسة الجلدية أو الكتانية ، كما دخل في صناعة الاسلحة الصغير او ادوات الصيد وصنع منه كذلك ادوات النحت او الرسم ، وجاء استغلال النحاس الاحمر اكثر بكثير من النحاس الاصفر بسبب ليونته و سهولة طرقه ، ولكن ندرته في ارض بلاد وادي الرافدين ادت الى محدودية استخدامه (١٧).

ان تطور فن النحت وانتشاره ادى استخدام خامات اخرى مثل ، البرونز الذي استخدم بعد استخدام الطين المفخور بمدة طويلة ، إذ يرجع تاريخه الى العصر الحجري البرونزي بحدود ٣٠٠٠ق.م ، ويتكون البرونز من مزيج القصدير مع النحاس بنسب متفاوته ، وكانت الغاية من اضافة القصدير الى النحاس لتسهيل عملية الصب ، لان النحاس يستهلك كميات كبيرة من الغاز المنبعث اثناء عملية التصلب ، وباضافة القدير له ينتج

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

معدن أقوى ، يُصب البرونز على القطعه المنحوتة بعد تشكيلها من الطين ، وتميز بقدرته على التماسك والثني وعد التشقق او الكسر ، كما يمكن اعادة صبه مرات عديده(١٨).

استخدم النحاتون في بلاد وادي الرافدين التلوين الاسود في صبغ الرأس كناية عن الشعر ، واحيانا استخدم اللون الاحمر وكانت له مدلولات دينية ، خاصة بتلك المنحوتات التي كانت تدفن مع الاشخاص وكان الاحمر يرمز الى الموت ، اما التلوين فكان يجري بعدة طرق لعل اكثرها شيوعاً استخدام الاصباغ العضوية او المعدنية ، فالأصباغ العضوية تشمل عصير النباتات الذي يعطي اللون الاسود اذا كانت حرارة الكورة قليلة ومدتها قصيرة ، واذا كانت الحرارة شديدة ومدتها طويلة فأن الكاربون يحترق ويترك قليلاً من الرماد الابيض ويتواجد الكاربون النقي الذي يستخرج من اللون في ترسبات الفحم المتحولة وفي الفحم الحجري وفي مصادر غير عضوية (١٩).

تمت عملية الصبغ باللون الاسود كانت عن طريق حك المنطقة المراد تلوينها قبل وضعها بالكورة وفي هذه الحالة يحتاج الكاربون الى عامل لتثبيته كالصمغ ، اما اذا كان التلوين بعد وضع القطعة بالكورة فيجب ان تكون الحرارة ضعيفة ، وبصورة عامة فأن الصبغ باللون الاسود أستخرج من اصل عضوي مثل الكاربون النقي والمنغنيز والعظام المحروقة (٢٠) .

اما اللون الاحمر والبرتقالي والاصفر فانه يستخرج من اكاسيد الحديد ، وبمزج الوان متعددة تمكن الفنان القديم من الحصول على اللون البني او الاحمر المائل الى البني ،كما استخدمت الالوان الابيض وتدرجاته ، فقد لونت طبعات الايادي المنقوشة على الكهوف بألوان مقاربة للون بشرة الانسان (٢١) .

كما واجه الفنان القديم بعض الصعوبات في الحصول على عدد من الالوان منها الاخضر والازرق والبنفسجي ، وكانت تستخرج من اوكسيد المنغنيز او من النباتات ، كما استخدم اللون الارجواني ، وخلطت جميع الالوان بالدهون او خلاصة العظام واحياناً الدم لتظل محافظة على ثباتيتها ، بينما حفظت الاصباغ الجافة المسحوقه في انابيب صغيرة مصنوعة من العظام المفرغه كما استخدمت المدقات لسحق الاصباغ و الألواح لوضع الالوان عليها، وعادةً تصنع من الحجر او من عظام كتف الحيوانات ، واستخدمت قطع حادة من الخشب للحفر ثم ملئ تلك الحفر بالاصباغ، كما أستخدمت الفرشاة واحياناً اصابع اليد للتلوين (٢٢) .

وهذا يوضح ان الفنان في بلاد وادي الرافدين على الرغم من بساطة الادوات والالوان المتوفرة آنذاك الا انه لم يتخلى عن الجانب الجمالي والابداعي في عمله فحاول خلق مادة اوليه من الطبيعة ، وقد نجح في ذلك الى حد كبير خصوصاً بعد اكتشافه للمعادن .

المبحث الثالث: تطور فن النحت في ادوار ما قبل التاريخ

ظهر النحت في اول اشكاله في العصر الحجري الحديث وكان مقتصراً على النحت المدور لأشكال بشرية وحيوانية ، وتوصلت التنقيبات الى اكتشاف ما يقرب من خمسة آلاف دمية في قرية جرمو (٢٣)، ساعده على ذلك اختراعه لدولاب الفخار(٢٤) .

كان تطور النحت في بلاد وادي الرافدين بطيئاً وذلك لفقدان الوحدة السياسية وانفتاح حدوده على الخارج مما عرضه للغزوات تارة وللهجرات تارة اخرى ، فلم تشهد البلاد استقراراً سياسياً ولا اجتماعياً مما انعكس سلباً على التطور الثقافي فيها ، وبحدود الثلاثة الآف سنة قبل الميلاد ، نحت سكان بلاد وادي الرافدين لأول مرة تمثال انسان مجسم كاملاً من الحجر ، وعلى الرغم من كون النحت المجسم ظهر في نفس الوقت في وادي النيل وحضارة الاندلس ، مما صعب معرفة من كان له السبق في ذلك لاتصال الحضارات الثلاث ، ولكن من المؤكد ان انسان وادي الرافدين طور النحت المجسم كثيراً وكان له مجهود واضح في ذلك الفن (٢٥) .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

تميزت المنحوتات التي عثر عليها في شمال العراق بكونها مفخورة فخراً خفيفاً ، وقسم آخر منها مطلياً باللون الاحمر ، وأظهر النحت لبعض الدمى بأن جعلها ممتلئة القوام وأخرى في حالة الحمل كرمز للخصب والإنجاب وقوى الطبيعة ، كما ظهرت منحوتات بدون رأس ويدين وساقين ، ولها عجز مضخم ، ومن الواضح جداً انها نحتت بدولاب الفخار ولم تنحت باليد ولم تستخدم في نحتها ادوات النحت وهذا يفسر سبب اتخاذها شكلاً هندسياً اشبه بالجرة اكثر من كونها ذات ملامح انسية (٢٦) .

امتاز النحت في العصر البرونزي المعدني أي في حدود الثلاثة الآف سنة قبل الميلاد ، بالتطور البطيء وكثرة الانتشار ، وسندرس تفاصيله ذلك اكثر من خلال اعطاء وصف للنحت والمنحوتات المكتشفه في ادوار عصور ماقبل التاريخ الخمسه التي اشتقت اسمائها من اسماء المواضع الاثرية التي اكتشفت فيها اثارها وهي بحسب التسلسل الزمني دور حسونة ، ودور سامراء ، ودور حلف ، ودور العبيد.

دور حسونه

سُميّ الدور الأول من ادور العصر الحجري الحديث بدور حسونة نسبة الى تل حسونه الصغير الذي يشغل مساحة مائتين متر مكعب وهو مكان اكتشاف الاواني الفخارية والادوات التي ميزت هذا الدور عن سواه ، وموقعه الذي يبعد على نحو خمسة وثلاثون كيلومتر جنوبي الموصل ، تعود اثارها الى تاريخ الفين وثمانمائة سنه قبل الميلاد (٢٧) تميزت القطع المنحوته في ذلك الدور برأسها المدبب المائل للخلف والعيون المائلة وعدم تناسق الاجسام (٢٨) ، ويعود ذلك بطبيعته الى البدائية في النحت فضلاً عن الادوات المستخدمة .

دور سامراء

أقترن دور سامراء بالاثار المكتشفه في منطقة سامراء في التل المعروف بتل الصوان الذي يبعد على نحو اثنا عشر كيلو متر من جنوب بلدة سامراء ، ويعود تاريخها الى مابين منتصف الالف السادس والالف الخامس قبل الميلاد (٢٩) .

دخل الرخام في صناعة المنحوتات في هذا الدور ، فضلاً عن استخدام الشذر والصدف ، فقد وصلتنا بعض المنحوتات حيث زينت رقابها بالقلائد من الشذر الازرق ، كما طعمت عيونها بالصدف ، واستخدم القار في تغطية الرأس كناية عن الشعر الاسود ، كما كان النحت اكثر دقه في ابراز معالم الجسم المنحوت عنه في دور حسونه (٣٠) .

وهكذا يتضح أن النحت في سامراء كان اكثر جمالية وتهذيب عن الدور الذي سبقه ، ويمكن تعليل سبب ذلك بالفارق الزمني بين ظهور دوري حسونه وسامراء ، هذا الفارق حمل معه عملية تطور في النحت .

دور حلف

ان تاريخ هذا الدور يعود الى خمسة الاف سنه قبل الميلاد ، وسمي بهذا الاسم نسبة الى تل حلف الواقع في شمالي سوريا (٣١).

اشتهرت مدينة حلف في عصور ماقبل التاريخ بكونها مركزاً تجارياً ربط بيط سوريا والعراق وفلسطين ، كما كانت مركزاً لعبادة الاله الأم التي صُورت بهيئة امرأة بدينة ، مبرزت الاعضاء الانثوية ، وجسمها مزين بخطوط كأنها وشم ، وعبدت على انها ترمز الى قوى الخصب والانجاب (٣٢).

لذلك تميز النحت في دور حلف بالتركيز على تضخيم بعض الاعضاء المسؤولة عن الخصب كالصدر والعجز والسرة البارزة والخصر الاهيف ، ووصلتنا بعض القطع المنحوته وهي بوضعية الجلسة القرفصية ، كما انها منعدمة الرأس مع احاطة الذراعان بالصدر في اغلبها (٣٣) وربما يكون سبب ذلك عائد الى كون تلك القطعة تمثل القربان للآله لذلك اخذت وضع القرفصاء وايضا حركة الايدي فهي تمثل التقديس .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

نُحتت في تلك المدة منحوتات مثلت الحيوانات الاليفة ، مثل الكلاب والاغنام والماعز و الثيران والفئران وبعض الطيور كالحمام ، ويُعتقد بان سبب نحتها هو لزيادة عددها لحاجة الانسان لها ، كما نحتت بعض اشكال لحيوانات مفترسه لكن باعداد قليلة بغاية التقليل من مخاطرها او السيطرة على الشبيه او حملها كتعويذه لتنتقل قوة ذلك الحيوان الى حامل التعويذه(٣٤).

دور العبيد

العبيد هو تصغير للعبد ، سُمي بهذا الأسم نسبة الى احد التلول الأثرية جنوبي العراق قرب أور ، غرب محافظة الناصرية ،بدأ ذلك الدور بحدود (٥٠٠٠-٤٥٠٠) ق.م وانتهى في تاريخ (٣٨٠٠) ق.م (٣٥).

عُدت منحوتات هذا الدور نقلة تاريخية مهمة ، إذ بدأ التطور يظهر على القطع المنحوته بعدما كانت قبل ذلك دمى طينيه شُكلت بأبسط صوره ، وسبب ذلك انفتاح سكان وادي الرافدين في ذلك العصر على مناطق مجاورة ونقل بعض من فنونهم او التأثر بها (٣٦) .

خلف لنا عصر العبيد الكثير من الاثار مثل دمية انثوية تحمل طفلاً بكلتا يديها على هيئة الرضاعة وهي بلا رأس ، ودمية اخرى ايضا لامرأة ذات رأس يشبه الافعى غير واضحة الملامح ، وقد صب رأسها بالقار كناية عن الشعر الأسود وهي ايضا غير متناسقة الاجزاء ، وكذلك على هيئة رجل أيضا له رأس يشبه الافعى واضعاً يداً على صرته واخرى حمل فيها عصا ، وله سيقان غير متناسقة ، رغم ابراز اصابع القدم بشكل واضح (٣٧).

دور الوركاء

سمي كذلك نسبة الى مدينة الوركاء وهو الدور الخامس من ادوار العصر الحجري المعدني ، وعصر الوركاء الذي قسم الى ثلاث ادوار وهي القديم والوسيط والحديث وهو مايطلق عليه ايضا بالعصر الشبيه بالتاريخي ، وبرز عصر الوركاء حين قطن الناس تلك المنطقة بحدود الالف الخامس قبل الميلاد ، وقسم الاثاريون دور الوركاء الى سبعة ادوار تاريخية للمكتشفات الاثارية او طبقات الارض التي عاش فيها سكان ذلك العصر ، وتلك الادوار بدورها قسمت الى طبقات ثانوية بلغت الاثني عشرة طبقة ومن تحتها ثمانية عشر طبقة جميعها سبقت العصور التاريخية (٣٨).

اخذ النحت في عصر الوركاء اشكال فنية متقنة الصنع على الحجر بشكل واضح اذ ابرز انحناءات الجسم بدقة كالعضلات وملامح الوجه ، نسوة ذات أجسام ممتلئة وأرداف كبيرة وكان الهدف من هذه الدمى تكريس أهمية المعتقدات الخاصة بالخصب والإنماء ، ولعل اشهر ما وصل الينا من منحوتات ذلك العصر هي (مسلة صيد الاسود) التي مثلت مشهد صيد الاسود بالنحت البارز وهي قطعة حجرية ، فضلاً عن قطعة مثلت رأس امرأة وهي من الرخام الابيض بالحجم الطبيعي ، وشُكلت العينان والحاجبان من حجر اللازورد والصدف (٣٩) ، وقطعة اخرى مثلت الاناء النذري ، أي المستخدم للنذور في المعابد وميزة هذا الاناء انه منحوت بمشاهد دينية خاصة بالكهنة والحيوانات مع رمز الالهة عشتار وهو ايضاً مصنوع من الرخام وطوله اكثر من ثلاثة اقدام ،وهو أقدم اناء ديني من حجر منحوت تم اكتشافه في العراق يعود الى تاريخ الالف الثالث قبل الميلاد (٤٠) وهو يستخدم لطقس الزواج المقدس في عيد رأس السنة في بلاد وادي الرافدين (٤١) .

ركز الانسان القديم على الخصب والانجاب كثيراً وصنع لذلك الدمى الكثيرة للمعبد ولخارجه فيما بعد عند انتشار النحت وذلك لان الاولاد مثلوا للأسرة العراقية القديمة كسب مادي إذ يزيدون من انتاجها وثرائها لانهم يؤدون الاعمال بجد ونشاط على هيئة العبيد لذلك كلما ازداد الاولاد تحسنت الاسرة اقتصادياً ، فكان تعدد الزوجات سمه بارزة ومألوفه لدى سكان وادي الرافدين (٤٢) .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

شهد عصر فجر السلالات (٤٣) وصول الانسان السومري الى نحت هيئة الرجل او المرأة بشكل متكامل.
يبدو مما سبق ، ان النحت وجد لاغراض دينية بحته ، وليأمن الانسان القديم مخاطر الطبيعه والحيوانات المفترسه ، فضلاً عن ممارسته للشعوذه التي احتاج معها الى ادوات ، كالتماثيل وبعض النقوش ، ولكن تطور حياته الاجتماعيه بتطور معيشته جعله يلتفت الى النحت كفن يمارسه معبراً عن نضوجه الثقافي ، لذلك بمرور الوقت عبر الادوار التاريخيه التي ذكرناها، ومع ماحمله كل دور من تطور معيشي واضح معه اقترب الانسان الى العصور التاريخيه وعصور دويلات المدن ، نلاحظ تطور الفن بكل اصنافه ولاسيما النحت فدخلت عليه مؤثرات جماليه بعدما كان اشكالاً رمزسه تخلو احياناً من الملامح ، ساعد في ذلك التطور الانفتاح الثافي على البلدان المجاوره ، والذي هو كاحد مقتضيات التطور الاقتصادي ، والتبادل التجاري.

خاتمة

مثّل ظهور المنحوتات في العصر الحجري الحديث أحد مظاهر التطور الفكري والحضاري الذي رافق الانسان القديم في ذلك العصر ، تمثل ذلك التطور ببدايات تبلور المعتقدات الدينية ، وكان الانسان قبلها يعبد قوى الطبيعة ليأمن غضبها ، من دون خوضه في التفكير ببعض المعتقدات الدينية مثل الموت والعالم السفلي ، ومستقر الروح بعد الموت ، فضلاً عن ظهور المناسبات والاعياد الدينية .

كان لاختراع دولاب الفخار نصيب كبير في انتشار فن النحت ، فقد نحت الانسان القديم الالهه التي عبدها في دولاب الفخار ، والى سبب ذلك ربما يعود عدم انتظام اشكالها وبروز بعض اجزائها ، فلم تكن القطعة المنحوته يدوياً بالكامل فقد نحتت عن طريق دولاب الفخار ثم بُرزّت بعض اجزاء منها يدوياً .

تضافرت عدة اسباب امكن للباحث رصدها توفرت في الانسان القديم مكنته من ممارسة فن النحت وتطويره لاحقاً ، حاجته للتجسيم مع غياب ادوات ذلك كالرسم مثلا لعدم توفر المادة الاولية ، ولان الانسان في ذلك العصر توفرت له خامات محدوده مثل الطين و الحجر لذلك ظهر فن النحت وفن النقش على الحجر ، من العوامل الاخرى التي تظافرت له هو قوة الملاحظة بسبب معيشته في الطبيعة وقوة نظره لانه اعتاش على جمع القوت والصيد لذلك تدربت عيناه على النظر لمسافات طويلة ، وبالتالي تولدت لديه قوة التركيز ، فضلا عن قوته الجسمانية وهو الامر المطلوب ايضاً في عملية النحت خصوصاً مع بدائية مواد النحت مما يزيد العمل صعوبة وتعقيد .

كان المعبد في عصور ماقبل التاريخ هو المركز الديني والثقافي ، فبدايات التدوين في المعبد والنحت ظهر ليلبي حاجات المعبد من التماثيل والاواني سواء المستخدمة للعبادة او التي تدفن مع الموتى ، وبدأ النحت المجسم في عصر الطبقة الرابعة في الوركاء ومثل ذلك نقلة فنية مهمة للفنان العراقي القديم.

الهوامش:

(١) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٢، دار الوراق ، بغداد، ٢٠١٢، ص ٣٨وص ١٧٥-١٧٧.

(٢) احمد ابو زيد ، اصوات من الماضي ، مجلة عالم الفكر ، م١٠،العدد ١، ١٩٧٩ ، ص ١٩٧.

(٣) توماس مونرو ، التطور في الفن ، ترجمة محمد علي قطب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ج١، ص ٣.

(٤) توماس مونرو، التطور في الفن ، ص ٧.

(٥) سليمان التكريتي ، القيم الجمالية في الفن ، مجلة افاق عربية ، العدد ٤، كانون الأول ١٩٧٦، ص١٠٩.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

(٦) عبد العزيز صالح ، الشرق الأدني القديم ، مكتبة الانجلو مصرية ، ٢٠١٢ ، ص ٤٣ .
(٧) ارنست فشر ، الاشتراكيه والفن ، ترجمه اسعد حليم ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٣، ص ١٣.
(٨) ارنست فشر ، الاشتراكية والفن ، ص١٣.
(٩) ادري بارو ، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان ،سليم طه التكريتي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٩، ص ١٥١.
(١٠) اندريه ريتشارد ، النقد الفني ، ترجمة صياح الجهيم ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، سوريا ، ١٩٧٨، ص ٣ ؛ ارنست فشر ، المصدر السابق ، ص ١٤.
(١١) نذير الزيات ، فن النحت ، ط٢، دار دمشق للطباعة والنشر ، سوريا ، ٢٠٠٠ ، ص٥٥.
(١٢) أرنولد هاوزر ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة فؤاد زكريا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧، ص ص ٢٢-٢٣.
(١٣) تقي الدباغ ، الفخار القديم ، مجلة سومر ، العدد ١٩، ١٩٦٤، ص ٩٤ ؛ حازم عبودي السعيدي ، التمثلات الفلسفية في الاعمال الفخارية النحتيه لحضارتي العراق ومصر القديمتين ، مركز الكتاب الاكاديمي ، الاردن ، ٢٠١٨، ص ١٨٩
(١٤) تقي الدباغ ، الفخار القديم ، ص٩٤ .
(١٥) نريمان ثامر ، مراحل تطور فن النحت في العالم ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، كلية الاداب واللغات، قسم الفنون ، ٢٠١٨ ، ص ٢٨.
(١٦) نريمان ثامر ، مراحل تطور فن النحت في العالم، ص٢٨.
(١٧) عبد العزيز صالح ، الشرق الأدني القديم ، ص ٤٦ .
(١٨) مارتن ليفي ، النحاس والبرونز في بلاد مابين النهرين ، مجلة النفط والتنمية ، العدد ٧-٨، نيسان ، ١٩٨١، ص ١٣٣؛ نريمان ثامر ، المصدر السابق، ص ٢٧ .
(١٩) تقي الدباغ ، الفخار القديم، ص ٩٥ .
(٢٠) تقي الدباغ ، الفخار القديم، ص ٩٥؛ هارولد بيك ، جون فلير ، الازمنة والأمكنة ، ترجمة محمد السيد غلاب، مؤسسة سجل العرب ، مصر ، ١٩٦٢، ص٨٨.
(٢١) وليد محمود الجادر ، الانسان والفن البدائي ، مجلة الاكاديمي ، العدد ١، ١٩٧١، ص١٩.
(٢٢) جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة ، ترجمة احمد فخري ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩، ص ٣٢.
(٢٣) جرمو: سميت كذلك نسبة الى قلعة جرمو والتي تبعد مسافة ١١ كم من كركوك قرب چمچمال . للمزيد ينظر : احمد سوسة ،تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية ، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٣٠؛ طه باقر ، المصدر السابق ، ٢١٨.
(٢٤) دولاب الفخار : اله استخدمت لصناعة الفخار بعدما كان يصنع يدوياً ، ويرجع تاريخ استخدامها الى دور العبيد او اقدم ، وكان في ذلك الوقت بطيء ثم تطور الى اسرع في دور الوركاء . للمزيد حول ذلك، ينظر : بهنام ابو الصوف ، ملاحظات حول نشأة دولاب الفخار وتطوره في العراق ، مجلة سومر ، العدد ٢١، ١٩٦٥،ص ١١٩.
(٢٥) اكرم شكري ، النحت السومري ،مجلة سومر ، عدد ١، ١٩٤٥ ، ص ١٣١ .
(٢٦) اكرم شكري ، النحت السومري ، ص ١٣١ .
(٢٧) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ص ٢٣٢.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

(٢٨) اسماعيل حجارة ، دمى من كالينج اغا ، مجلة سومر ، العدد ٢٥، ١٩٦٩، ص ٣١ .
(٢٩) احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ص ١٣٣.
(٣٠) احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ص ١٣٤؛ اسماعيل حجارة ، المصدر السابق ، ص ٣١.
(٣١) احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ص ١٣٦.
(٣٢) احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ص ١٣٧.
(٣٣) Ann Perkins ,the Comparative Archaeology of Early Mesopotamia Chicago ,١٩١٩,p٣٢.
(٣٤) P.Singh ,Neolithic Cuiture Western Asia,١٩٧٦,p١٤١.
(٣٥) احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ص ١٤٠.
(٣٦) احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ص ١٤٠.
(٣٧) احمد سوسه ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ،ص ١٤١-١٤٢.
(٣٨) للمزيد ، ينظر : فرج بصم جي، الوركاء، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٦٠، ص ٥-٦.
(٣٩) يقول اندرية بارو عن الرأس :" ليس من باب المبالغة ان نقول بأننا حصلنا هنا على واحدة من النقاط السامية لعبقرية الإنسان الخلاقة " . اندري بارو ، سومر فنونها وحضارتها ، ص١١٧.
(٤٠) . اندري بارو ، سومر فنونها وحضارتها ، ص ١٢١.
(٤١) طقس الزواج المقدس : هو من الطقوس المهمة لدى سكان بلاد وادي الرافدين لانه يتعلق بالخصب والنماء، يجري في المعبد بمشاركة كاهن الاله الاعظم والكاهنه العليا ويلعبون دور الاله انانا أي عشتار الهة الحب وزوجها تيموز ، وبزواج الاثنين او اتصالهما يعم جميع البلاد الخير والنماء لذلك سمي الزواج المقدس ، وليس بالضرورة يكون القائمين عليه داخل الغرفة المقدسة بشر فلربما في بعض الاحيان يكونون تماثيل . ينظر:
– Douglas Frayne , Notes on the Sacred Marriage Rite, Bibliotheca Orientalis ,١٩٨٥, p.١٤.
(٤٢) ول .ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، ج١ ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٧٢.
(٤٣) عصر فجر السلالات او ديولات المدن : تمتد هذا العصر في المدة (٣٠٠٠-٢٤٠٠) وسمي كذلك لانه شهد ظهور اولى السلالات الحاكمة المتمثله بدويلات المدن السومرية ، وكان الحكم ينتقل وقتذاك في السلالة الحاكمة من الاب المؤسس الى الابن من بعده . ادري بارو ، سومر فنونها وحضارتها ، ص ١٤٣.

قائمة المصادر

١- الكتب العربية

- احمد ابو زيد ، اصوات من الماضي ، مجلة عالم الفكر ، م١٠،العدد ١، ١٩٧٩ .
- احمد سوسة ،تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية ، بغداد، ١٩٨٣ .
- ادري بارو ، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان ،سليم طه التكريتي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٩.
- ارنست فشر ، الاشتراكيه والفن ، ترجمه اسعد حليم ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٣.

ISSN–2536–0027

- أرنولد هاوزر ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة فؤاد زكريا ، ج١، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧.
- اندريه ريتشارد ، النقد الفني ، ترجمة صياح الجهيم ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، سوريا ، ١٩٧٨.
- بهنام ابو الصوف ، ملاحظات حول نشأة دولاب الفخار وتطوره في العراق ، مجلة سومر ، العدد ٢١، ١٩٦٥ .
- توماس مونرو ، التطور في الفن ، ترجمة محمد علي قطب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ج١ .
- جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة ، ترجمة احمد فخري ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩.
- حازم عبودي السعيدي ، التمثلات الفلسفية في الاعمال الفخارية النحتيه لحضارتي العراق ومصر القديمتين ، مركز الكتاب الاكاديمي،الاردن ، ٢٠١٨.
- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط٢، دار الوراق ، بغداد، ٢٠١٢ .
- عبد العزيز صالح ، الشرق الأدني القديم ، مكتبة الانجلو مصرية ، ٢٠١٢ .
- فرج بصم جي، الوركاء، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٦٠.
- نذير الزيات ، فن النحت ، ط٢، دار دمشق للطباعة والنشر ، سوريا ، ٢٠٠٠ .
- هارولد بيك ، جون فلير ، الازمنة والأمكنة ، ترجمة محمد السيد غلاب، مؤسسة سجل العرب ، مصر ، ١٩٦٢ .
- ول .ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، ج١ ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦ .

٢- الكتب الاجنبيه

-Ann Perkins,the Comparative Archaeology of Early Mesopotamia Chicago ,١٩١٩,p٣٢.
-P.Singh, Neolithic Cuiture Western Asia,١٩٧٦,p١٤١.
-Douglas Frayne, Notes on the Sacred Marriage Rite, Bibliotheca Orientalis ,١٩٨٥, p.١٤;

٣- الرسائل الاكاديمية

- نريمان ثامر ، مراحل تطور فن النحت في العالم ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، كلية الاداب واللغات ، قسم الفنون ،٢٠١٨ .

٤- المجلات

- مجلة افاق عربية ، العدد ٤، كانون الأول ١٩٧٦.
- مجلة الاكاديمي ، العدد ١، ١٩٧١.
- مجلة النفط والتنمية ، العدد ٧-٨، نيسان ، ١٩٨١.
- مجلة سومر ، عدد ١، ١٩٤٥ .
- مجلة سومر ، العدد ١٩، عام ١٩٦٤ .
- مجلة سومر ، العدد ٢٥ ،١٩٦٩ .